كنيسة مارمرقس
القبطية
الأرثوذكسية
بمصر الجديدة

سلسلة رؤية الله
الكتاب الثالث

الله فى حيـاتــى

القس يوحنا باقى

صاحب الغبطـة والقداسـة

البابـــا شـــنوده الثـــالـث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ 117

الكتاب : الله فى حياتى

المؤلف: القس يوحنا باقى

الناشر : كنيسة مارمرقس مصر الجديدة.

الطبعة : الأولى يناير 2007

المطبعة : مطبعة دير القديس مارمينا العجائبى

الجمع التصويرى: الناسخ السريع

رقم الإيداع بدار الكتب :

الترقيم الدولى :

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

باقى، يوحنا

كيف أرى الله / يوحنا باقى

0 – ط 01 – القاهرة : كنيسة مارمرقس، 2006–04–01 56

ص ؛ 16 سم

1– التأملات (المسيحية) أ– العنوان 274.2

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

باقى، يوحنا

كيف أرى الله / يوحنا باقى

0 – ط 01 – القاهرة : كنيسة مارمرقس، 2006–04–01 56

ص ؛ 16 سم

2– التأملات (المسيحية) أ– العنوان 274.2

مقدمـة

هدف الله من خلقة الإنسان، أن يمتعه برؤيته، فلا يوجد فى الكون ما هو أحلى من الله؛ لأنه هو القادر على كل شئ، وضابط الكل، ومدبر ومنظم وقائد كل المسكونة. وهو كلى المحبة، ومصدر كل حب فى العالم، إذ يفيض بحنانه لا علىّ فقط، بل على كل خليقته. إنه موضوع حبى.

إنى أشعر بكيانى كإنسان، عندما أراك يا الله؛ لأنى خليقتك. ولا أستريح إلا برؤيتك. فأنت حياتى، وبك أستطيع أن أرى كل شئ واضحاً حقيقياً.

إن رؤيتك هى مصدر سعادتى، وبدونك الحياة مظلمة، بل أنا نفسى أصير ميتاً، فأنت نورى وخلاصى ولذة حياتى.

وإذ أراك أطمئن، وأشبع بك، فلا أعود أنزعج من تقلبات الحياة ومشاكلها، ولا أقلق من غموضها؛ لأنى أراك أمامى؛ فتفرح نفسى. وعندما أتعود رؤيتك، أحيا فى تمتع لا يعبر عنه، يذيقنى نسمات من الملكوت؛ فيرتفع قلبى تدريجياً نحو السماء، مع أنى أعيش على

الأرض، وأختلط بالناس، ولكنى لا أرى سواك فى كل من حولى؛ فأحيا الأبدية وأنا هنا على الأرض.

إن كان هناك بعض السعى والجهاد للوصول إلى رؤيتك يا الله، لكن تمتعى بك ينسينى كل تعب، بل يدفعنى للسعى نحوك بلا نهاية؛ لأتذوق حلاوتك عندما أراك، فأنت عندى أحلى من كل شئ.

إن هذا هو الكتاب الثالث فى موضوع رؤية الله، فقد حدثنا الكتاب الأول – الذى عنوانه أريد أن أرى الله – عن الحاجة الضرورية لرؤية الله ووسائل الوصول إلى ذلك. أما الكتاب الثانى – الذى عنوانه كيف أرى الله ؟ – فحدثنا عن كيفية الوصول لهذه الرؤية. وهذا الكتاب يحدثنا عن بركات رؤية الله فى حياتنا.

بهذا الكتاب يكمل موضوع رؤية الله. أرجو أن يكون نوراً فى طريق حياتك، يساعدك أيها القارئ العزيز على الاقتراب إلى الله، ومعرفته، والتمتع به؛ فتحيا كإنسان أسمى من كل الخليقة، فى سعادة وفرح، حسب قصد الله من خلقتك.

أشكر كل من ساعد فى وصول هذا الكتاب إليك، الله يعوض الكل بمحبته، ويجعله بركة فى حياتنا، بشفاعة أمنا الطاهرة العذراء مريم، وبصلوات القديس العظيم مارمرقس الإنجيلى الرسول، وببركات قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث، أدام الله لنا حياته سنين عديدة وأزمنة سالمة، هادئة، مديدة.

عيد الميلاد **القس يوحنا باقى**

7 يناير 2007

الباب الأول

رؤية الله فى المزود

إشتاق كل القديسين فى العهد القديم أن يروا الله، وتنبأ الأنبياء عن مجيئه فى ملء الزمان، وأخيراً أظهر الله نفسه مولوداً من أمنا العذراء؛ لكى نراه ونتمتع به. وقد نلنا برؤيته بركات كثيرة، يصعب حصرها، ولكن أهمها :-

1- نلنا الخلاص :

بتجسد المسيح وميلاده فى مذود البقر، بدأ تنفيذ خطة خلاص الإنسان، الذى كمل على الصليب، رافعاً عن البشرية خطاياهم، ومعطياً حياة جديدة لكل من يؤمن به؛ لذا فرؤية الله المولود فى المذود، هو إتمام النبوات؛ لنوال خلاصه العجيب، حتى نتحرر من خطايانا، ونستعيد بنوتنا له، ونعود إلى الفردوس الذى فقدناه، وننعم بالحياة الأبدية.

2- إقترب إلينا

وإذا قد عجزنا عن الصعود إليه، بسبب خطايانا، التى فصلتنا عنه، إحتجب عنا، ولم نعد نراه، بل وأصبح من المستحيل أن نراه. لم يكن هناك حلاً، إلا أن يقترب هو إلينا؛ ليرفعنا إليه. فتجسد لكى ما

يصير مثلنا؛ فنستطيع الاقتراب إليه، ورؤيته، لأنه مرهوب وعظيم، ولا يستطيع أحد أن ينظر إليه، حتى ملائكته يخفون وجوههم بأجنحتهم. أما بعد تجسده، فقد أصبح متاحاً لكل إنسان أن يتمتع برؤيته، القريبين والبعيدين، اليهود والأمم، البسطاء والعظماء، الرعاة والمجوس وحتى أنا الخاطئ الضعيف، مهما كان مركزى، وفقرى، وعجزى أستطيع أن أتمتع برؤيته، ثم إذ أتعلق بحبه؛ يرفعنى إليه فى السماء.

3- قدس أجسادنا

لقد شوهت الخطية صورة الله فينا، فجعلتنا نحتقر أنفسنا، ونتضايق من أجسادنا التى تنجذب إلى الشر، وصار هناك صراع أيضاً بين الروح والجسد، كلاً يشتهى ضد الآخر، فتجسد المسيح لكى ما يجعل الإثنين واحداً – أى الجسد والروح – ويقدس جسدنا وإنسانيتنا؛ باتحاده بها، بل وأعطانا أيضاً، أن يحل روحه القدوس فينا؛ فنصير هيكلاً له. ولم يعد غاية الجسد التلذذ بالشهوات الشريرة، بل صار مسكناً لله الحى؛ حتى ما ينشغل بتقديم عبادة طاهرة لله.

وهكذا صار الجسد بركة، حتى أن أجساد القديسين بعد موتهم مازالت تصنع المعجزات.

4- صار مثالاً لنا

ضاعت المبادئ، واعوج طريق الإنسان؛ بسبب الخطية، فلم يعد يعرف كيف يسلك، وحتى الضمير – الذى هو صوت الله فى الإنسان – قد عوجته الخطية، ففقد قدرته على إرشاد الإنسان. من ثم أصبحت الحاجة ملحة لمعرفة طريق الله الصحيح فى هذه الحياة. وهنا تجسد المسيح – آدم الثانى – ليحيا فى وسطنا، ويعطينا نفسه مثالاً حياً فى السلوك المستقيم؛ حتى نقتدى به فى كل ظروف حياتنا.

لقد أنار الطريق لنا؛ لنأتى إليه ونتعلم من تصرفاته فى المواقف المختلفة، فقد تقابل مع الأحباء وتعامل مع الأعداء، تكلم مع الرجال والنساء والأطفال، كسب اليهود والأمم، وأصبح له تلاميذه من الفقراء والأغنياء، الضعفاء والأقوياء؛ فصار هو الطريق والحق والحياة "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو14: 6).

5- معين فى ضيقاتنا

لقد عاش المسيح حياتنا، بأفراحها وأحزانها، واجتاز فى ضيقات كثيرة؛ ليشعرنا أنه معنا فى كل الضيقات، ويتألم لألمنا، بل يعلن الكتاب المقدس عنه "لأنه فيما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين" (عب2: 18).

وهكذا لم يعد أولاد الله ينزعجون من التجارب؛ لأنهم يطلبون إلههم الذى يظهر وسط الأتون، وينزل إلى جب الأسود؛ فيتمتع أولاده بعشرته أثناء الضيقات، وينسون آلامهم، ويشعرون ببركات لا يعبر عنها.

إن مسيحنا المولود فى المذود مازال يناديك أيها القارئ العزيز؛ لتتمتع برؤيته، كما تمتع بها كل المؤمنون به على مدى الأجيال. فتأمل محبته؛ حينئذ سيكشف لك عن نفسه، وتراه واضحاً فى حياتك، بل يسير معك كل خطواتك.

الباب الثانى

بركات رؤية الله فى حياتنا

إن الله هو خالق الإنسان، وهو وحده القادر أن يريحه، ويسعده؛ لذا فسعى الإنسان لرؤية الله، يعيده إلى وضعه الأول عند خلقته – أى يصير صورة حقيقية لله – ويكون دائم الميل للتشبه والتمثل به؛ فيتمتع ببركات لا تحصى، ويدخل حتى إلى أعماق الله؛ ليتلذذ بما لا يعبر عنه.

ولرؤية الله تأثيرها العجيب فى الإنسان، فبركاتها ليست عطايا جانبية، يمكن أن يحيا الإنسان بدونها، بل هى أساس قيام كيان الإنسان وسعادته، وتأثيرها كبير جداً؛ إذ تسرى فى كل كيانه، فيصير إنساناً سماوياً يحيا على الأرض، وإبناً حقيقياً لله، ونوراً للعالم، وملحاً للأرض.

وإذ يتذوق الإنسان حلاوة رؤية الله؛ يلهب ذلك أشواقه إليه؛ فيتحرك بسعى دائم نحوه، ويكون مستعداً لاحتمال كل أتعاب الجهاد الروحى، بل يجدها لذيذة وتحلو له؛ لأنه يحتملها من أجل أغلى شئ فى الوجود، وهو رؤية الله.

وهنا نتعرض لأهم بركات رؤية الله. أما تأثيرها الكامل فهو موضوع تأمل الإنسان طوال حياته؛ ليدرك بعضاً منها، ثم يستكملها فى الحياة الأبدية؛ لأن الله غير محدود، فتأثير رؤيته فى الإنسان غير محدود أيضاً، ويظل يؤثر فى كيانه إلى الأبد.

الفصل الأول
طمأنينـة وســلام

إن الطمأنينة والسلام هو الاحتياج الأول للإنسان وسط العالم المضطرب كالبحر، والذى لا يهدأ أبداً؛ لأن إبليس – رئيس هذا العالم، والمسئول عن الشر الذى فيه – يثير دائماً التوتر والانزعاج فيه؛ حتى ما يشغل أولاد الله بالمشاكل، ويبعدهم عن الله.

ولكن كيف تحفظ رؤية الله للإنسان سلامه ؟

1- حنانه الأبوى يدفئنى

يرى الإنسان أبوة الله الذى خلقه، وأحبه من قبل تأسيس العالم، وفداه على الصليب، ومازال يعتنى بكل احتياجاته بتفاصيل يصعب إدراكها، مثل إحصاء شعر رأسه "شعور رؤوسكم أيضاً جميعها محصاة" (لو12: 7).

بل إن عنايته تفوق مفاهيم البشر، فتتعدى عناية الأم برضيعها، "هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك" (اش49: 15). وهكذا تنفتح عينىّ الإنسان؛

ليرى حنان الله الذى لا ينقطع، واحتضاناً ومساندة تطرد كل أفكار الوحدة، والعزلة؛ فلا يضطرب من إساءات الآخرين، أو تخليهم عنه فى أصعب المواقف، وهذه الطمأنينة تثبت فى داخله مشاعر البنوة؛ فيتقدم بثقة ودالة نحو الله، يطلب ما يريد، مؤمناً بمحبة أبوه السماوى له، واهتمامه بصلواته، حتى لو تأخر فى الاستجابة لها، فهو يدبر له الأفضل. وإن مرت به ضيقات كثيرة، يثق أن إلهه يريد بها خيراً له، ويسنده خلالها، فيعاين الله فيها أكثر من ذى قبل.

2- قدرته الغير متناهية تطمئننى

إذ يتأمل الإنسان أعمال الله فى الخليقة كلها، من خلال الكتاب المقدس، وتاريخ الكنيسة، بل وفى حياته الشخصية، يدرك قوة الله، التى لا يقف أمامها عائق، وتعمل فى الكل بلا حدود؛ لمصلحة أولاده، فهو الإله الغير محدود، وقدرته غير متناهية.

لذا لا يضطرب إن تكاثر الناس ضده، أو أحاطت به الضيقات؛ فمعه قوة جبارة، تستطيع أن تفعل أى شئ، وفى أى وقت، كما كانت هذه القوة مع شمشون عندما تكاثر عليه الأعداء، وهو مربوط بالحبال فلم ينزعج، بل بقوة الله قطع قيوده، وإذ لم يكن معه

سلاح، أمسك بفك فم حمار، ملقى على الأرض وقتل بها ألفاً (قض15: 15), وإذ يشعر الإنسان بالمساندة الإلهية، يتقدم بشجاعة فى كل أمر صالح؛ ليصنع الخير مهما كانت معطلات المقاومين، ويحتمل كل حروب إبليس؛ واثقاً فى قدرته على النصرة؛ لأن الله معه، ومهما كانت سقطاته صعبة، يقوم سريعاً ليواصل جهاده، ويستهين بكل الأتعاب، فيحتملها واثقاً أن إلهه يحملها معه، كما قال: "احملوا نيرى عليكم ... لأن نيرى هين وحملى خفيف" (مت11: 29، 30)، وبذا تصبح كل متاعب الإنسان هينة؛ لأن الله يحمله، ويحملها عنه، فلا يكاد يشعر بها.

3- مخافته تنقينى

عندما أرى الله أشعر بعظمته، وقداسته، وأتصاغر جداً أمام مجده وبهائه؛ فأكره خطيتى التى تنجسنى، وتحاول أن تفصل بينى وبينه، وأندم عليها بدموع كثيرة، وأرفض كل ما يربطنى بها، أو يؤدى إليها، وهكذا تصير رؤية الله المخوف سبيلى إلى نقاوة القلب وحياة البر.

وإذ أبتعد تدريجياً عن الخطية، يزول عنى كل آثارها، من اضطراب وتوتر، وأستعيد سلامى، وأعود لعلاقتى بالله، والنمو فى رؤيته ومعرفته.

إن رؤية الله تتكشف لى تدريجياً، على قدر استفادتى منها، ورفضى للخطية وسعى نحوه.

4- بعلمه ومعرفته يرشدنى

إنى أشتاق – كإنسان – إلى اللامحدود، مع إنى محدود؛ لأنى مخلوق على صورة الله، الغير محدود، ولجهلى لا أميز ماذا يناسبنى من علم ومعرفة، فإذا تمتعت برؤية الله، ولو قليلاً، يشبعنى هذا، فلا أعود أنبهر وأجرى وراء المعرفة العالمية، بل يرشدنى الله الذى أطلبه – إلى ما يناسبنى منها، وينمينى فى طريق محبته ولا يعثرنى، فأحتفظ بسلامى الداخلى.

أما من جهة خطاياى، فيشفق إلهى الحنون علىّ، فلا يكشف لى منها، إلا ما أستطيع احتماله، ويساعدنى فى الجهاد ضدها، حتى أتنقى ويثبت سلامى، وكلما نميت فى رؤيته ومعرفته، يسمح لى

بمعرفة خطايا أكثر من ذى قبل، فأجاهد أيضاً لأتنقى منها، وهكذا بازدياد رؤيتى له، تزداد قدرتى على التخلص من خطاياى، فأحصل على الطمأنينة فى أحضانه الإلهية، وكلما ازدادت نقاوتى من الخطية، تتضح رؤية الله فى حياتى أكثر وأكثر، وأستمر فى النمو طوال حياتى.

5- مستقبلى يؤمنه

مهما كنت مطمئناً ليد الله التى تسندنى، وسط ظروف حياتى المختلفة، لكن إبليس يحاول أن يزعجنى بمخاوف المستقبل، وغموضه؛ حتى ينزع منى سلامى. ولكن عندما أرى الله يطمئن قلبى؛ لأن إلهى يعرف، ليس فقط الماضى والحاضر، بل وأيضاً المستقبل. وأكثر من هذا، مستقبلى فى يده، وهو حاضر أمامه يدبره لمصلحتى، وخيرى، وقد وعدنى بذلك حين قال "كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله" (رو8: 28).

لذا فأنا لا أخاف من المستقبل، ولا أسعى لمعرفته عن طريق الشياطين وعملائهم، أو الدجالين، أو كل من يدعى النبوة؛ فأنا

مطمئن أن مستقبلى فى يد الله، وكل ما أعده لى سيساعدنى على تحقيقه، وهكذا يطمئن قلبى، مهما اضطرب المحيطين بى.

وإليك أيها القارئ العزيز أسرد هذه القصة، التى حدثت فى أوائل النصف الثانى من القرن العشرين، حيث كان هذا الراهب الصغير فى السن قد التحق بالدير، وبدأ ينتظم فى قوانينه الروحية، من مزامير، وتسابيح، وقراءات روحية، ومطانيات، بحسب إرشاد أبيه الروحى، وكان مسئولاً عن المجمع، أى المطبخ الذى يعد فيه الطعام والشراب للزائرين.

كان عدد الرهبان بالدير قليلاً، وجو الهدوء يسود على الدير، وسار هذا الراهب بخطى ثابتة وهادئة فى طريقه الروحى، ملتزماً بإتمام قوانينه الروحية، وكان قلبه مملوءاً سلاماً.

فى أحد الأيام، استدعى رئيس الدير هذا الراهب وأبلغه بأن ثلاثة من الآباء الأساقفة سيزورون الدير فى اليوم التالى. وقد كان عدد أساقفة المجمع المقدس وقت ذاك قليلاً، فكان زيارة ثلاثة من الأساقفة يمثل نسبة منهم ليست بقليلة. إستيقظ هذا الراهب باكراً جداً

قبل طلوع الفجر، واستعد لهذه الوليمة الكبيرة، وكان بالمجمع موقداً واحداً (وابورجاز كان يستخدم وقت ذاك).

أعد الراهب ما يحتاجه طعام الإفطار، واستغرق هذا وقتاً طويلاً؛ لأن المائدة كبيرة، ولا يوجد أمامه إلا موقداً واحداً. وعندما وصل الآباء الأساقفة مع مرافقيهم قدم الطعام للجميع، ثم بعد الإفطار، جمع الأطباق والأوانى وغسلها، وبدأ يستعد لطعام الغذاء.

إستغرق إعداد طعام الغذاء وقتاً أطول، وبعدما أتم إعداده أعد المائدة، وبعد انتهاء الغذاء، قام بغسل الأوانى، ثم بدأ فى إعداد الشاى وطعام العشاء، واستمر العمل لضيافة الزائرين حتى الساعة الثانية عشر ليلاً.

ذهب هذا الراهب إلى قلايته، بعد أن شعر بارتياح لانتهاء مسئولية الضيافة الكبيرة، ولكنه لم يجد وقتاً طوال اليوم لإتمام قانونه، وكان جسده منهكاً انهاكاً شديداً، وفى مسيس الحاجة إلى الراحة فى أسرع وقت، وبدأت الأفكار تصارعه، هل يؤجل قانونه لليوم التالى، أم يقوم بإتمامه الآن ؟ وكيف يتمه وهو فى هذه الحالة من الإعياء الشديد ؟

رفع قلبه إلى الله، فأرشده أن يصلى جزءاً من قانونه، قرر الراهب أن يصلى الخدمة الأولى من صلاة نصف الليل، فهى تحتوى على مزامير من صلوات الأجبية المختلفة طوال اليوم، وهكذا يأخذ بركة الساعات المختلفة طوال النهار، ولو بشكل جزئى.

قام هذا الراهب، وبدأ يصلى الخدمة الأولى من صلاة نصف الليل، وفيما هو يردد مزاميرها، وهو مرهق جداً وينير قلايته بمصباح صغير (لمبة جاز)، وصل إلى المزمور الرابع، الذى يبدأ بكلمات "إذا دعوت استجبت لى..." وعندما وصل إلى الآية التى تقول "قد أضاء علينا نور وجهك يا رب"، إذ به يفاجأ بنور عظيم يملأ القلاية.

فى البداية ملأ الخوف قلبه ولكنه إذ تماسك، بدأ يشعر بسلام وفرح لا يعبر عنه، ودب فى جسده نشاطاً عجيباً، ساعده على استكمال مزامير وصلوات وتسابيح كثيرة، وبعد إتمام صلواته، إنطفأ النور العجيب.

ثم رقد لينام،وقلبه يتهلل بهذا اليوم، الشاق جداً فى أتعابه ولكنه مفرح جداً، إذ رأى فيه الله بنوره العجيب، الذى نظر إلى تعبه وفرح بجهاده الروحى ومحاولة إتمام قانونه ولو جزئياً.

وقد تعلم طوال حياته، أن يجاهد بكل طاقته؛ واثقاً إنه سيرى الله، بقدر ما يسعى نحوه، ويتعب من أجله، فيفرح بتعزيات لا يعبر عنها، بل يرى نور السماء وهو على الأرض.

الفصل الثانى
فـرح ولـذة

يدعونا الله للفرح الدائم، فيقول "افرحوا فى الرب كل حين" (فى4: 4) ولكن أفراح العالم مؤقتة، بل تنقلب إلى الحزن فى معظم الأحيان، فلا سبيل للفرح الدائم إلا برؤية الله.والفرح هو هدف حياتى كلها، وهو مطلب لكل البشر.

فلماذا تعطينى رؤية الله وحدها هذا الفرح ؟ لأنه :-

1- يشعر بى

عندما تحيط بى الضيقات، وتكثر المشاكل ويتخلى عنى كل المحيطين يظهر الله نفسه لى، فيرفع عنى كل إحساس بالوحدة والعزلة؛ وأتمتع بوجوده معى، بل أكاد أقول للناس، اتركونى وحدى لأتمتع بحبه. كما شعرت عروس النشيد وهى فى حضن الله حين قالت : "شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى" (نش8: 3)، ثم طلبت من كل من حولها ألا يزعجوها، ويتركوها تتمتع بحبه، فقالت "لا تنبهن الحبيب حتى يشاء" (نش3: 5).

وفى هذه المعية الإلهية تفرح نفسى فرحاً لا يعبر عنه، وحتى لو لم تحل المشكلة بعد، فيكفينى أنى فى أحضان الله، الذى يحبنى، إن إلهى قريب منى جداً؛ لأنه عاش على الأرض وتألم بآلامى فيسرع إلىّ؛ ليشعرنى بحبه إذ هو يسكن فىّ ويحتضنى. ويظهر نفسه لى بلمسات رقيقة، غالباً ما أفهمها أنا وحدى؛ لأنها تعاطف وإحساس من الله بى، سواء من خلال آية، أو حدث صغير، يشعرنى بوجوده معى؛ فيتهلل قلبى.

2- يفهمنـــى

إنه خالقى الذى يعرف تفكيرى وميولى، بل ونيات قلبى، فيستطيع أن يحتوينى ويتفاهم معى، إذ أنه متضع جداً، فرغم أنه فى عظمته فوق الكل، ولكن باتضاعه وحبه لى، يتكلم معى بأسلوب بسيط واضح أفهمه بسهولة، فأخرج ما فى داخلى كله وأنطلق فى مشاعرى نحوه أكثر من أى إنسان فى الوجود، فلا أخجل منه؛ لأنه حبيبى ولا يزدرى بى أبداً.

وهكذا أتخلص من كل متاعبى، حتى ولو رفض الناس كلهم مشاركتى فيها، بل كلما قسى علىّ الناس، يزداد حنانه، وعندما

يرفضوا آرائى، أجده يقدرها، ويغيرها بلطف شديد – إن أراد– فيخجلنى، فأركع عند قدميه فى فرح لا يعبر عنه.

إنه لا يمل منى أبداً، حتى لو انشغلت عنه، فعندما أرجع إليه، يخجلنى بحبه، وأجد نفسى أذرف الدموع على صدره، فينير قلبى وعقلى، وأعود لحديث الحب معه.

ورغم ضعفى وكثرة خطاياى، يمسح عنى كل شر عندما أتوب، ويأخذ بيدى الصغيرة، ليدخلنى إلى أعماقه، فأبدأ بإدراك ما هو فوق الأرض والعقل، وتتغير لغتى واتجاهاتى وتصير الروحيات هى الصبغة التى تصبغ أفكارى، ويزداد كل يوم تفاهمى واتصالى به وأتمشى فى فرح داخل أحضانه .. داخل الملكوت الذى أحياه وأنا هنا على الأرض.

3- يستجيب لى

إذ أجد نفسى فى أحضانه، أتقدم بشجاعة ودالة البنوة وأطلب منه كل احتياجاتى، واثقاً من أبوته التى تغمرنى، متمتعاً بفرح الحديث معه وهو قطعاً يستجيب لى، ولأنى متمتع بأحضانه؛ لا أنزعج إن تأخرت الاستجابة، أو حتى رفض طلبى؛ لأنه يكفينى أنه سمعنى

واهتم بطلبتى، لأنى أثق أنه أبى، الذى يختار لى أفضل شئ يناسبنى. وإذا استجاب لى بعكس ما طلبت، أقبل برضى طالباً معونته التى تعطينى راحة تدريجياً، بل وفهماً لمشيئته قدر خضوعى له، ولكن فى جميع الأحوال أفرح أنى معه وكلما مر الزمن أكتشف حقاً أن تدبيره هو أفضل شئ لى؛ لأنه يحبنى.

4- يرشدنى

إن طرق العالم كثيرة، ولكن إلهى الذى أحبه يقودنى من خلالها؛ ليوصلنى إليه، فهو مرشدى فى كل الظروف. عندما أطلبه بإيمان وإلحاح، ينير علىّ بوجهه، ويختار لى ما هو صالح لى؛ فلا أنشغل بما سيحدث، وبما يحير الناس؛ لأن إلهى يختار لى دائماً، أما أنا فيكفينى التلذذ بحبه.

وإن تقدم إبليس؛ ليعوج الطريق أمامى، حتى يُتيهنى، لا أنزعج، بل أنظر إلى إلهى، معلناً ضعفى وعجزى؛ فيكشف لى حيله الخبيثة، وينتهره فيبعد عنى، وحتى لو سقطت بضعفى فى فخاخ إبليس أصرخ إليه؛ فينقذنى وينتشلنى، وأجد نفسى فى أحضانه، فأستعيد فرحى.

5- تحلو لى عشرته

إذ أتذوق حلاوة عشرته، أشعر أنه أغلى شئ فى الوجود، وأنه اللؤلؤة الغالية الكثيرة الثمن، وأنه النور الذى ينير حياتى، فأسعى للوجود معه بكل طريقة ممكنة، سواء فى مخدعى بحديثى معه، أو التأمل فى كلامه، وكذلك أيضاً فى بيته وسط إخوتى، وفى كل مكان أشعر بعمله فيه، فأنتهز كل فرصة للوجود معه.

وإن حاول الجسد أن يعطلنى أخضعه، حتى لا يحجب عنى رؤية إلهى الحبيب، وإن أحاطت بى المشاغل، أجتاز فى وسطها؛ لأكون معه، وإن ضغطت علىّ المشاكل ألقيها عند قدميه؛ لأتفرغ لأمر واحد، هو التأمل فى جماله، وهكذا يدوم فرحى فى داخلى وأتلذذ بعشرته.

وكلما سعيت نحوه يكشف لى ذاته؛ فأتعلق به أكثر وأجرى إليه؛ فيظهر نفسه لى أكثر من ذى قبل، وعندما أجتاز العوائق وتنهك قواى، يرينى نفسه، فأنسى أتعابى.

6- يلذ لى تسبيحه

هل يوجد فى الخيال إله أحلى منك يا إلهى ؟! ... أنك حقاً "أبرع جمالاً من بنى البشر" (مز45: 2)، إن أعمالك معى عظيمة جداً، ولا أستطيع إلا أن أرفع قلبى بالشكر الدائم لك، وعندما أشكرك، أشعر بوجودك معى، وتعظم عطاياك فى نظرى؛ فأتلذذ بها.

إن جمالك يجذب كل الأنظار، ملائكتك يسبحونك على الدوام بفرح لا ينقطع، فاسمح لى أن أتقدم إلى حضرتك الإلهية، وأقف بينهم، وأحظى بترديد تسابيحك؛ لتكشف لى نفسك، فأنا فى اشتياق مستمر لأعرفك، إذ أن معرفتك تفرحنى؛ لأنى كلما سبحتك أكتشف مدى حبك لى، وهكذا أعلو فوق الأرض مع كل من يسبحونك هنا وفى السماء.

عندما أسبحك وسط المؤمنين فى الكنيسة، وأتلذذ برؤيتك، أجدنى أطمع فى رؤيتك وحدى؛ لذا أسرع نحو مخدعى؛ لأنفرد بك وأسبحك بألحانٍ جميلة، تذيقنى أفراح جديدة.

7- يرفعنى عن العالم

فى هذه الأفراح السماوية، التى تنعم بها علىّ يا الله، أنا المخلوق الحقير السائر فى أرض الغربة، يشبع قلبى، فتصغر أمامى كل أفراح العالم، فإذا كان جسدى يميز اللذات المادية، إلا أن قلبى الذى ذاق حلاوتك، يجذب جسدى سريعاً للوقوف أمامك، فلا أنغمس فى هذه اللذات، بل أحولها إلى شكر على عطاياك، فكل ما يهمنى هو وجودك معى، سواء فى الروحيات، أو فى الماديات، فأنا أريدك أنت يا الله وليس عطاياك، ولكن أفرح بعطاياك؛ لأنك أنت فيها.

وكلما تذوقت حلاوتك، أستطيع أن أستغنى تدريجياً عن احتياجات الجسد، وأقبل ظروف الحياة المعاكسة التى تسمح بها لى؛ لتصعدنى إليك، وهكذا أسلك بنجاح فى حياتى، ليس فقط فى سلام، بل بفرح تعجز الماديات أن تعطله؛ لأنى أتحرر منها تدريجياً وأنشغل بحبك.

عاش هذا الرجل مع الله وأحبه، وزهد العالم وما فيه، رغم نجاحه فى حياته وعلاقاته مع المحيطين به، وازداد حبه لله، حتى لم يحتمل قلبه؛ فترك العالم وذهب إلى الدير.

لم تكن الرهبنة وقت ذاك مزدهرة، ولكنه وجد فى هدوء الدير فرصة لعلاقة أكبر مع الله، نمت تدريجياً لأنه حرص على الاتضاع والتلمذة عند أقدام الرهبان الذين سبقوه، فكشف الله نفسه له؛ فتلذذ بمشاعر روحية جميلة، قادته للوحدة بمغارة خاصة خارج الدير.

شاءت الظروف أن ينتقل إلى مكان آخر توحد فيه، ونمت صلواته وتسابيحه، وتمتع بالقداسات الإلهية كل يوم. فكان فى فرح كبير، ملأ قلبه وسط البرية التى كان يقيم فيها بجوار العاصمة.

إختارته عناية الله ليجلس على كرسى مارمرقس، ولكن قداسة البابا كيرلس السادس لم يكف عن قداساته وتسابيحه اليومية؛ ليتمتع برؤية الله مهما ضغطت عليه المشاكل.

شن عليه إبليس حروباً كثيرة؛ فقاومه الكثيرون من الأساقفة ومن الكهنة، والرؤساء، ومن عامة الشعب. فكان يلتجئ إلى الله بصلوات كثيرة، واختبر أثناء الضيقات وجود الله معه بوضوح أكثر من حياته السابقة؛ فتهلل فرحاً.

أحب القديسين، وارتبط معهم بصداقات عميقة، فكانت وسيلة واضحة يكشف الله له عن نفسه، ويعزيه، ويقويه.

كان يصلى فى أحد القداسات التى اعتادها كل يوم، وحمل الشورية ونزل ليبخر فى الكنيسة، أمام القديسين، الذين كان يشعر بوجودهم، ويتكلم معهم، من خلال الصلوات الطقسية ودار بالبخور فى الكنيسة أمام صور القديسين، والحاضرون يشعرون أنه يتكلم مع أناس أحباء، واقفين أمامه، فكان يصلى أمامهم بخشوع، ويبخر باتضاع إكراماً لعظمتهم.

عاد إلى خورس الشمامسة، واقترب إلى الهيكل، ولكنه تحول نحو الكرسى الكبير المعد لجلوس البابا وأخذ يبخر أمامه مرات كثيرة والشمامسة فى ذهول؛ لأنه يبخر أمام كرسى فارغ، خاصة عندما رأوه يبتسم فى براءة وفرح واضح، وبعد ذلك دخل إلى الهيكل، وصلى قداساً عميقًا بحماس وفرح كبير.

بعد انتهاء القداس، حاول أحد الشمامسة أن يسأل عما فعله أمام الكرسى، ولكنه تهرب منه، فأخذ الشماس يلح عليه، حتى أقر

بالحقيقة وهو أنه رأى القديس مارمرقس الرسول جالساً أمامه على الكرسى؛ لذا فقد فرح جداً وأعطى أمامه بخوراً مرات كثيرة.

إن تعزيات الله لا تحصى، يفضيها على أولاده الذين يحبونه، ويهتمون بالحديث معه، فهو يشجعهم؛ ليثبتوا فى صلواتهم مهما مرت بهم ضيقات، أو حاول إبليس تعطيلهم.

الفصل الثالث
النمــو الروحــى

الله الذى خلقنى؛ لأكون معه دائماً فى الفردوس الأول فى شخص أبواى آدم وحواء، يريد الآن أن يظهر نفسه لى، ويكون معى قدر ما أقبل أن أكون معه؛ فينمينى فى محبته، وعندما تكمل محبتى ينقلنى إلى السماء؛ لأكون معه، بلا عائق وأنمو بلا حدود. فرؤية الله هى الدافع الحقيقى لكل نمو روحى. كيف ؟ لأنها :-

1- تذيقنى لذة جديدة :

أن لذة رؤيتك يا الله تختلف عن لذة كل الشهوات المادية، فلذتك مريحة للنفس، أما الأخرى فمهيجة لها وتُخلف وراءها اضطراباً. إن لذتك مشبعة، أما لذة العالم فمؤقتة، تترك وراءها الإحساس بالحرمان والجوع. لذتك يا الله لا تشبع النفس فقط، بل تجعلها تفيض على الآخرين؛ فتجتذبهم إليك، أما لذة العالم فتجتذبنى وتجتذب من حولى للشيطان. وكما أن لذتك تثمر فىَّ فضائل فإن لذة العالم ينتج عنها خطايا.

إنها لذة جديدة تحتاجها نفسى وتناسبها وتستطيع بهدوء أن تنميها فى طريق محبتك؛ حتى أتذوق كل يوم جديداً من هذه اللذة المريحة لنفسى.

2- تحرك أشواقى :

إذ أتذوق حلاوتك يا الله تتحرك أشواقى فى داخلى؛ لأنى مخلوق على صورتك ومثالك، فطبيعتى تشتاق أن تتمثل بك، وإذ أنت غير محدود، فأشواقى تجذبنى بلا حدود إلى حبك، فأحب الوجود معك فى مخدعى، أو فى بيتك فى خلوتى، أو مع الآخرين.

أشتاق إليك عندما أستيقظ من نومى، وفى نهاية اليوم أريدك وفى كل وقت؛ لأن قلبى قد انجذب بحبك، ومع فرحى برؤيتك أجدنى فى جوع وعطش دائم إليك، وأنا متمسك بوعدك أن تشبعنى وأن ترويني، فأنت القائل "أنا هو خبز الحياة من يقبل إلىَّ فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً" (يو6: 35).

كلما قرأت فى كتابك المقدس أشتاق أكثر وأكثر لمعرفتك، وعندما أدخل كنيستك أريد أن أعرف عنها كل شئ، وكل يوم

تطالبنى أشواقى بالمزيد من معرفتك، فأنمو تلقائياً برجاء وثقة، مهما كان عدم استحقاقى وحقارتى لكثرة خطاياى. لقد عرفت أنك أنت الحب الحقيقى وحدك، فكيف أتركك بعدما كشفت لى عن نفسك؟!

إن ضعفى يؤلمنى، وسقطاتى تنخسنى، ولكنى لا أستطيع أن أوقف أشواقى نحوك، بل أذرف الدموع عند قدميك، ولكنى لا أتركك أبداً.

لقد وهبتنى هذه الأشواق، وأننى واثق أنك قادر أن تشبعها فىَّ كل يوم، أيها المجد العظيم.

3- تهون على تعبى :

وفيما أشواقى تدفعنى نحوك، أقوم بجسدى الضعيف؛ لأرفع الصلوات أمامك، ولو أنه فى بعض الأحيان يعاندنى جسدى، فلا أستسلم له، بل أقمعه؛ ليظل معك. وإذ أختبر رؤيتك وتعزياتك فى قلبى، عندما أقترب إليك؛ أستهين بالتعب؛ لأجل الوصول إليك، بل وأحب التعب لأجلك. وينجذب جسدى وراء روحى؛ لينسكب كيانى كله أمامك. أطلبك مهما كان الثمن.

وأن تأخرت تعزياتك، وانحجب وجهك عنى، فلن أتركك؛ لأنى رأيتك وتذوقت حبك، فكيف أتركك أيها اللؤلؤة الغالية، والكنز المخفى؟ فأواصل سعى نحوك، وألح عليك؛ لتظهر نفسك لى وتعزى قلبى، وأنا واثق أن كل خطوة أخطوها نحوك عزيزة جداً فى عينيك؛ فأقبل التعب؛ لأنه يوصلنى إليك. وهكذا بعرق جبينى آكل خبزك الذى تهبه لى، أى معرفتك.

4- تفرج عن ضيقى

الضيقات تمر على جميع البشر. فإن أتتنى ضيقة، لا أنزعج، ما دمت أنت معى؛ فأحتملها بصبر، وأطلب معونتك؛ لتعبر بى وسط الآلام، فلا أستطيع أن أترك قانونى الروحى، من صلوات وقراءات وخدمات؛ لأنه حياتى، وأحتاج إليه وقت الضيقة، أكثر من أى وقت آخر.

وعندما تنظر بأبوتك لى، وترى تمسكى بك؛ يفيض علىَّ حبك؛ فتظهر نفسك لى بصور جديدة، وإحساس لم أعرفه من قبل. فأنا أراك فى الضيقات أكثر من أوقات الراحة؛ فأقبل الضيقة وتهون علىَّ؛ لأنى أراك وسط آلامى. وهكذا تهون متاعبى، فأحتملها برضا

وفرح، وأطيع كلامك "إحملوا نيرى عليكم ... لأن نيرى هين وحملى خفيف" (مت11: 29، 30).

5- تتجلى فى قديسيه

وأنا أسعى فى طريق حبك، أجد أمامى قديسيك الأبرار، الذين أحبتهم نفسى؛ لأجل سيرهم العطرة. وعندما تظهر نفسك لى أتعلق بقديسيك الذين عاينوك كثيراً، وأقرأ سيرهم، وأصادقهم وأعمل لهم تماجيداً، وأتشفع بهم، حتى أكون معهم فى طريقك أعاينك كما عاينوك.

إن علاقتى الحميمة بالقديسين تدفعنى فى طريق الفضائل، التى بها عاينوك، فهذا باتضاعه، والآخر بطول آناته، والثالث بشجاعته، والرابع بحكمته ... أنى أحب الفضيلة لأنك أنت فيها، وأحب القديسين لأنهم فى حضرتك، وبوجودى معهم أحيا فى عالم جديد، نقى، وطاهر، مملوء بالحب، هو عالم السماء؛ فلا أعود أتضايق من شر العالم، بل أصلى لأجل الكل، وأشكرك من كل قلبى؛ لأنك كشفت لى نفسك وأنا مازلت فى هذه الأرض، وأشتاق أن تقدس نفسى لك بالكلية؛ لأحيا دائماً متمتعاً بمعيتك.

6- تدفعنى للإختلاء به

أنى أحب جميع الناس؛ لأنك أنت فيهم، فى كل فضيلة يتحلون بها، حيث لا يخلو إنسان من فضيلة، مهما كان شريراً. كما أن أحداث الحياة والطبيعة كلها تحدثنى عنك، إنى أراك وسط المؤمنين فى كنيستك، ولكن أشواق حبك تنمو فى داخلى، فلا أستطيع الاكتفاء برؤيتك وسط الجماهير، فأترك الكل؛ لأختلى بك؛ لتظهر لى حبك فى هدوء.

أن أى مكان أختلى بك فيه، سواء فى الكنيسة، أو فى البرية، أو أمام البحر، أو داخل الحقول، أو داخل مخدعى الصغير، أراك باتضاعك تتنازل؛ لتظهر فيه. وفى الخلوة أتأمل محبتك، وأعمالك معى؛ فتتكشف أمام عينىّ أمور كثيرة، ضاعت منى وسط الزحام، وإذ تنير عينىّ لأراك، تتجمع الأحداث لتُعلن عن وجودك، وحينئذ أراك أمامى، لا بالأعين الجسدية بل بعيون قلبى الداخلية؛ فيتعزى القلب بمشاعر لا يُعبر عنها.

إن سعيىّ للإختلاء بك يعوقه الشيطان كثيراً، ولكن عندما أصرّ على الوجود معك وأؤكد لك حبى، واحتياجى إليك؛ تفيض علىّ

بمراحمك، وتعلن نفسك لى، وأكتشف أنك مشتاق لى، أكثر بكثير من اشتياقى إليك. فأنت سعيت نحوى كثيراً، وتنازلت من السماء متجسداً، وقدمت لى حبك على الصليب. فسعّى نحوك، هو مجرد تجاوب صغير مع حبك. لذا عندما أراك فى الخلوة، لا أريد أن أفارقك، وأتمنى لو توقفت الحياة عند هذا اللقاء، لأدوم فيه إلى الأبد.

إن حلاوتك تفوق كل عقل، وقلبى الصغير لا يستطيع أن يستوعب إلا القليل من فيض حبك، إنى أريد أن أسعى نحوك كل يوم، فاعبر بى فوق كل المعطلات لأنمو فى معرفتك.

إرتبطت هذه الطفلة بمدارس الأحد، ولكن مع مرور الوقت ضعفت علاقتها بالكنيسة، وقل ترددها على القداسات، ومدارس الأحد، حتى توقفت تماماً مع بداية المرحلة الثانوية.

رغم أنها كانت فى الظاهر تبدو من البنات البعيدات عن الكنيسة، اللاتى يهملن علاقتهن مع الله، إلا أن التعاليم الكنسية والمشاعر الروحية، التى غرست فيها، أثناء طفولتها لم تفقد تماماً.

وفى أحد الأيام، بينما كانت جالسة فى بيتها، لاحت منها نظرة إلى صورة معلقة على الحائط للبابا كيرلس السادس، وشعرت كأنها ترى الصورة لأول مرة، مع أنها تمر أمامها كل يوم. شعرت بمهابة عظيمة، وبقداسه هذا الرجل. وإذ كانت قد سمعت عنه وعن محبته للصلاة، بدأ قلبها يتأثر، وشعرت بخلوها الداخلى من كل صلاح، ومدى بعدها عن الله.

وقد كانت زيارة النعمة هذه، هى التى حركت مشاعرها بشكل لم تكن تتوقعه، مما جعلها تقف لتصلى صلاة قصيرة، بعد انقطاعها عن الصلاة فترة طويلة.

تكرر وقوفها للصلاة، وأخرجت الكتاب المقدس، الذى قاطعته لسنين طويلة وبدأت تقرأ فيه.

أخذت تنمو فى حياتها الروحية، وتتشفع بالبابا كيرلس، وعاد ارتباطها بالكنيسة، بل زاد عما قبل، إذ بدأت تمارس سرى الاعتراف والتناول، وتنمو بهدوء ولكن بجدية فى طريق محبة الله.

شعرت أنه قد ضاع منها الكثير؛ فحاولت أن تعوض كل ما فاتها؛ فانطلقت بحماس نحو الكتاب المقدس تلتهمه، وتردد المزامير فى صلاة الأجبية، وتسكب قلبها أمام الله كل يوم، طالبة أن يكشف لها نفسه، ويعرفها بحبه، ويدخلها إلى الأعماق.

سمعت عن بعض زميلاتها فى الكنيسة يذهبن للخلوة فى الدير، وقد ذهبت فى إحدى المرات معهن إلى دير الشهيدة دميانة، وكم كانت فرحتها بهذه الزيارة، حتى أنها حرصت على تكرارها، كلما أتيح لها الفرصة وأصبحت معروفة ومقربة إلى الأمهات الراهبات.

بعدما أنهت دراستها الثانوية، التحقت بإحدى الكليات فى الأقاليم، فتركت منزلها ودخلت بيتاً للطالبات؛ لتواصل دراستها الجامعية. وبعيداً عن بيتها شعرت بالغربة، فتعلقت بالصلوات، والقراءة فى الكتاب المقدس أكثر من قبل، وإذ شعرت أن المسيح حبيبها هو الذى يحتضنها، ويملأ فراغ أوقاتها ويشبعها، هدأت وزال عنها مشاعر العزلة والوحدة.

لم تمض إلا فترة قصيرة فى دراستها الجامعية، حتى سمحت إرادة الله بانتقال والدها، فتأثرت جداً؛ لأنها كانت تحبه بشدة، وعندما

حضرت إلى الكنيسة؛ لتحضر الصلاة على جثمان والدها، دخلت أمام الهيكل الجانبى لتطلب معونة الله، وذهب إليها أب اعترافها ليقويها، وقال لها "ان أباك السماوى لا يموت" فقبلت كلامه بإيمان، وتعزى قلبها، وبعد انتهاء مراسم الصلاة والدفن، سافرت فى اليوم التالى؛ لتواصل دراستها الجامعية، إذ كان امتحان مقرراً لها امتحاناً فى ذلك اليوم، وكانت فى هدوء عجيب، أذهل كل أحباءها؛ لمعرفتهم مدى حبها لوالدها. وبعدما سافرت اتصلت تليفونياً لتطمئن الجميع، وهى تعبر عما فى داخلها من "سلام الله الذى يفوق كل عقل" (فى4: 7).

وأثناء وجودها فى بيت الطالبات، كانت تنتهز الفرصة لتختلى مع الله، فتصعد إلى سطح البيت ومعها شمعة صغيرة؛ لتختلى بالله فى هدوء الليل وتنطلق مشاعر الحب نحوه. كان هو غذاءها، الذى يدفعها لتستذكر دروسها بإتقان ونجاح مستمر.

واصلت دراستها الجامعية، وهى تنمو فى طريق الحب الإلهى، أكثر بكثير من نموها فى معرفة علوم العالم، وبعدما أنهت دراستها

الجامعية، كانت أقدامها تخطو نحو الدير؛ لتكرس حياتها للحب الإلهى.

الفصل الرابع
حمـاس فى الخـدمــة

إن رؤية الله هى المحرك الأساسى للخدمة، فالله هو صاحب الخدمة، وهو الراعى الحقيقى لها، والعامل فى أولاده الخدام؛ ليستطيعوا أن يخدموه، فهو يظهر ذاته لهم، ليس استعراضاً لقوته، أو تسلية لأولاده، بل ليحرك الحب فى قلوبهم؛ فيخدموه، وبالرغم من مقدرته على أن يستخدم ملائكته لخدمة الجميع، بل وأيضاً يعمل بقوة روحه القدوس، إلا أنه بمحبته يشركنا نحن أولاده الخدام فى هذه النعمة العظيمة.

فكيف تحركنى رؤية الله بكل صورة لأخدمه ؟ لأنها تجعلنى :-

1- أتجاوب مع محبته :

إن محبتك الفائضة علىّ بلا توقف تخجلنى، وتحرك قلبى مهما كان حجرياً؛ ليلين أمام قطرات حبك؛ فأشتاق للوجود معك، وأفرح للقياك، ثم لا يكفينى هذا، فأتمنى أن أقدم لك شيئاً تعبيراً عن حبى، فأسعى فى طريق خدمتك.

وكلما تأملت جمالك، وظهرت لى محبتك، أخرج لأدعو الكل، حتى ينظروك ويتمتعوا هم أيضاً بمحبتك، وعلى قدر ظهوراتك فى حياتى، لا أحتمل ابتعاد الناس عنك، أيها الكنز العظيم، فأشتاق أن أجمع الكل إلى أحضانك.

وعندما أتناسى محبتك، ويضعف الشكر فى حياتى، تفتر خدمتى، ويتحول الميل إلى العطاء إلى طلب الأخذ، فألوم الذين قصرّوا فى حقى، وأغضب لأى إساءة، إلى أن تخجلنى بفيض حبك؛ فأنتبه؛ لأعود إليك، محاولاً تعويض كل ما فاتنى فى خدمة اسمك القدوس.

2- أراه فى إخوتى

لقد أحببتنى يا الله، وأعطيتنى كل احتياجاتى، ومازلت تعتنى بىّ، ولا أجد شيئاً أقدمه لك؛ لأنك كامل، ولا تحتاج إلى شئ؛ لذا أقدم محبتى لأولادك البشر، الذين هم إخوتى، لأنك أعلنت بوضوح إن كل البشر الضعفاء هم إخوتك، "بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم" (مت25: 40).

فأنا أراك فى كل إنسان محتاج، كما رآك قديسك الأنبا بيشوى، فى العجوز الذى حمله. أراك فيمن يطلب مساعدتى، وأراك أيضاً فى كل محتاج أغلقت الضيقة شفتيه فلم يطلب، ولكنه فى احتياج أكثر من غيره. أراك فيمن يظهر ضعفه ويتكلم باتضاع، وأراك أيضاً فيمن يظهر قاسياً من أجل اضطرابه، فخلو قلبه منك يعلن حاجته الشديدة إليك، وجهله بك يعلن احتايجه إلى؛ لأظهر له معرفتك وحبك.

من أنا يا إلهى حتى أستحق أن أساعدك ؟ لقد تقهقر أعظم مواليد النساء عندما رأى مجدك، وأنت مقبل لتعتمد منه. فمن أنا حتى أخدمك وأقدم حبى لك متمثلاً فيما أقدمه لإخوتى الضعفاء ؟!. إن اتضاعك هذا، إن كان يخجلنى، ولكن يدفعنى بحماس أن أبذل كل ما أستطيع من أجلك؛ لراحة إخوتى، خاصة وأنك تكافئنى على أصغر خدمة، حتى لو كانت كأس ماء بارد. إن الخدمة هى سبيلى إلى الملكوت، هى سرورى وإكليلى فى يوم الدينونة، كما قال معلمنا بولس الرسول (فى4: 1).

وإذا بعد أحد إخوتى عنك جداً وأصاب الجميع اليأس من عودته حسب فكرهم البشرى، لا أستسلم لهذه الأفكار، واثقاً من قدرتك

التى لا تغلب، بل تقهر كل حروب إبليس، فما دام إلهى أظهر نفسه لى أنا الخاطئ الضعيف، فلأذهب لأبحث عن أخى فى كل مكان، وأصلى لأجله وأظهر محبتى له، حتى يعود إلى أحضانك.

3- أقتحم المصاعب

كلما رأيتك تدب فىّ قوة؛ فأعلن مع بولس الرسول "أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى" (فى4: 13) ومهما بدت الخدمة صعبة، أو المشكلة معقدة، فالله قادر أن يفتح لى طريقاً فى وسطها وما علىّ إلا أن أضئ شمعة وسط الظلام، ثم يزداد توهجها تدريجياً، حتى تتير الكل بقوة الله.

وعندما أراك فى طريق الآلام أثناء خدمتى، أتشجع لأحمل الصليب وراءك، كما رآك بطرس الرسول، وهو هارب من الموت خارج مدينة رومية وقد رآك حاملاً صليبك، فأسرع عائداً ليحتمل كل عذاب من أجلك ويُصلب منكس الرأس. وقد رآك أيضاً حبيب جرجس؛ فتحمس وأشعل شمعتى مدارس الأحد والإكليريكية.

إن قوتك المساندة تجعل الصعاب سهلة، وتختفى أو تزول من أمامها كل المعوقات؛ لذا فحينما أراك، أقدم على كل خدمة تدعونى إليها، حتى لو كانت فوق قدراتى؛ لأنى أثق أنك ستعمل فىّ، فأتمها بنجاح. وإن تعثرت الخدمة وتوقفت، فلن أيأس، بل أظل أصلى، وأسعى لإتمامها، حتى لو استمرت صلواتى لسنوات، لأنى أثق فى قدرتك، التى تعمل فى الوقت المناسب.

إن قوتك تدفعنى للخدمة مهما كان ضعفى، ونقص مواهبى، بل وعجزى عن أمور كثيرة. فأنت القادر أن تعمل بالقليل والكثير.. بالضعيف والقوى وكما قتلت أليفانا رئيس جيوش الأشوريين، بيد إمرأة ضعيفة – هى يهوديت – وكما هزمت جيوش الإمبراطورية اليونانية، بيد يهوذا المكابى ومعه قليل من المحاربين، فأنت قادر أن تعمل بضعفى؛ لتحقق مشيئتك.

4- أتعمق فى عشرته :

وسط أتعاب الخدمة رؤيتك تنير عينىّ، فأنسى كل تعبى، وأسرع نحوك؛ لأتمتع بك، أنت الذى تمشيت وسط الأتون، وأرسلت ملاكك لدانيال فى جب الأسود، وأنقذت بطرس السجين على يد ملاكك المنير. إنى أتناسى الضيقة من أجل فرط تمتعى برؤيتك، بل إنى أختبر رؤيتك، داخل الضيقة والخدمة المتعبة أكثر من أى وقت، لذا أرحب بالتعب من أجلك، ولا أختار الخدمة السهلة، بل أطيع دعوتك لى، مستنداً على ذراعك القوية. وفى داخل آلام الخدمة، أعتصر أمامك فى صلوات دامعة، وميطانيات، وأسكب قلبى أمامك؛ لترحمنى وتنقذ أولادى من فخاخ الشيطان.

5- أفرح بخلاص النفوس

أنى أراك يا إلهى فى كل نفس تخلص، وتعرف طريقها إليك، وتخجلنى بعطاياك. فعندما أعمل أنا عملاً صغيراً، وتحرك أنت نفوساً بعيدة فتأتى إليك وإذ بها تشكرنى كثيراً، رغم أنى لم أفعل شيئاً يُذكر. وعندما أتحدث عنك، وينبهر السامعون بحبك، ويظنون القداسة فىّ، فأتعجب لأجل اتضاعك، وسماحك لى أنا الخاطئ والمدنس بالشر، أن أنطق بكلماتك. أنا أعلم أنك تدعونى عندما تدعوهم إليك؛

فتخلصنى وتخلصهم، والكلام الذى أكلمهم به هو لى أنا قبلهم، وهكذا أفرح بعملك فىّ وفيهم، بل أنت ترسل إلىّ النفوس التى تعانى من نفس الخطية التى أسقط أنا فيها؛ لتتقذنى وتنقذهم؛ فنفرح جميعاً برؤيتك.

شجعنى يا إلهى بثمار الخدمة؛ لأواصل خدمتى وإن تأخرت فى إظهار نفسك، إسندنى بلمسات حبك، التى تشعرنى بوجودك معى؛ فأواصل خدمتى بحماس، باذلاً حياتى لأجلك؛ لأتمتع بمعيتك، بل أفرح عندما تختلط دمائى بدماك، وعندما أحمل صليبى وراءك أيها المصلوب، وتدمى قدماى من الأشواك، وأنا أبحث عن الخروف الضال، وأحمله على منكبىّ، فأشعر بك تحملنى وتحمله، وأذوق عشرتك بحلاوة لا يعبر عنها.

عاش هذا الطالب الصغير بالقاهرة، وارتبط بالكنيسة، وكان له أصدقاء كثيرين، إرتبط معهم بمحبة الله، فعاشوا أياماً سعيدة مرتبطين بالقداسات ومدارس الأحد، وأحبوا ألحان الكنيسة وتسابيحها، متعمقين كل يوم فى معرفة الله وفى كتابة المقدس.

إنتهت الدراسة الثانوية والتحقوا بالجامعة، ودخل هو كلية الصيدلة، وفى نفس الوقت نمت محبتهم نحو الله، فبدأوا خدمة ألهبت مشاعرهم نحو الله، وكانت هى شغلهم الشاغل، إلى جانب دراستهم الجامعية. إذ سمعوا عن حاجة القرى لمعرفة الله، حيث لا يجد المسيحيون فيها أية رعاية روحية، فتحركت مشاعرهم لخدمتها. وكان هناك تخوف فى البداية من هذه الخدمة الجديدة، ولكن محبة الله كانت تحركهم، فلم يستسلموا لمخاوفهم، وسارعوا إلى مجموعة من القرى فى الوجه البحرى.

فوجئوا باخوتهم فى هذه القرى، لا يعرفون يمينهم من شمالهم، إذ أن معرفتهم عن المسيح والكنيسة كانت ضئيلة جداً، فشجعوهم على معرفة الله، وبدأوا فى زيارتهم وعمل مدارس أحد لهم، واجتماعات صغيرة، وكان تقبل هؤلاء الفلاحين البسطاء لخدمة هؤلاء الشباب كبيراً جداً.

إستمرت خدمتهم لهذه القرى طوال فترة دراستهم الجامعية، وبعدما تخرجوا من الجامعة، بدأ كل واحد يفكر فى مستقبله العملى، وكان إذا وجد أحدهم تعارضاً بين خدمة القرية وعمله، اضطر إلى

ترك الخدمة. أما هذا الشاب فأخذ يتنازعه شعورين، أولهما الحاجة إلى النجاح فى العمل، وخاصة أن فرصته كبيرة فى القاهرة، والشعور الثانى هو محبته لخدمة هؤلاء البسطاء فى القرى، والتى تعود أن ينزل إليها، فارتفعت صلواته طالباً إرشاد الله، فسمع صوته واضحاً، ألا يترك خدمته، فتنازل عن النجاح المادى وطلب خدمة الله. وسافر إلى أحد المراكز الذى يوجد حوله بعض القرى التى تعود أن يخدمها.

بدأ عمله فى هذا المركز، وازدادت خدماته فى القرى المحيطة التى ليست بها كنائس، وفى هذا المركز وجد كنيسة، ولكن كانت خدمتها ضعيفة، فاهتم بتنمية الخدمة فيها من جميع النواحى، سواء مدارس الأحد، أو الاجتماعات أو تحفيظ الألحان، أو تطبيق طقوس الكنيسة بدقة؛ ليتمتع الشعب بالله.

تزوج واستقر فى هذا المركز، وعاش حياته فى الخدمة، وكان بيته مفتوحاً لكل إنسان يحتاج إلى مساعدته، فكان قلباً كبيراً لكل المسيحيين فى هذا المركز والقرى المحيطة. التجأ إليه الكثيرون، فى مشاكلهم؛ ليسندهم بأبوته.

فعلى سبيل المثال، تعرضت أسرة لوفاة الوالد المفاجئة، وقد كانوا يحبونه جداً، فتأثرت جداً إبنتاه اللتان تدرسان فى الجامعة، ولم يستطيعا مواجهة الحدث، فاستضافهما هذا الأخ مدة طويلة فى بيته، وترك لهما حجرة نومه هو وزوجته، واهتم برعايتهما من جميع النواحى، حتى تشددتا، وعادتا إلى حياتهما الطبيعية.

تعرض فى آخر حياته لضعف فى بصره، ولكنه لم يستسلم، بل واصل خدمته بكل نشاط، وكان من حوله يشفقون عليه، ويحاولون إيقافه عن القراءة، التى كان شغوفاً بها رغم صعوبتها الشديدة، ولكنه ظل فى حماسه، وحبه لله والخدمة، حتى ارتفعت روحه إلى الله؛ لتنضم مع طغمات الخدام فى الفردوس، حيث يعاين الله وجهاً لوجه، بعد تمتعه المحدود به فى العالم.

الفهـرس

المقدمـة 5

الباب الأول : رؤية الله فى المزود 8

الباب الثانى : بركات رؤية الله فى حياتنا 13

الفصل الأول : طمأنينة وسلام 16

الفصل الثانى : فرح ولذة 25

الفصل الثالث : النمو الروحى 35

الفصل الرابع : الحماس فى الخدمة 46